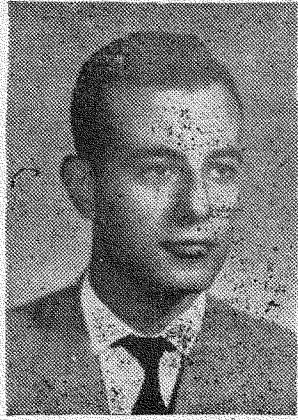




أساطير

المثقفين!

بقلم جورج طرابيسكي



يحكم من الطبيعية البورجوازية الصغيرة لقيادتها قد ساعدت هذا النفر من المثقفين على ممارسة علفاته الايديولوجية بلا عقاب . فالثورة العربية سارت حتى الان في طريق النضال العملي المباشر دونما دليل نظري محدد ودونما استراتيجيات طويلة انفس بعيدة المدى ، ولم يكن لها من عاصم على الصعيد النظري غير منهج التجربة والخطأ الذي فرضته المعارك الملحة المتلاحقة التي كان على الثورة العربية ان تخوضها على جميع الجبهات من غير ان يتاح لها استرداد انفاسها ومن دون ان تتمكن ظروفها الذاتية والموضوعية معا من تنظير التجربة المتراكمة ، ذلك التنظير الذي تظل الممارسة بدونه عفوية ، متقلقلة ، مبهورة الانفاس ، اسيرة اللحظة الراهنة ، كثيرة التبذير ، عاجزة عن التبصر والتوقع ، مستغنية عن الاستراتيجية بالتكتيك ، وعن التكتيك بالتكتكة .

ويدل من ان تكون تجريبية الثورة العربية حافزا اضافيا لاولئك المثقفين على ممارسة دورهم الطبيعي في تنظير التجارب المتراكمة نقدا وتعميما وفي تنوير الافق النظري بدلالة التجربة وبرسمها أولا واخيرا ، أي بدلا من ان يكون غياب الافق النظري حافزا لهم على المزيد من الارتباط والالتزام بالمسيرة الواقعية لحركة الثورة العربية ؛ فقد اعتبروا أنفسهم ، بحجة الفراغ الايديولوجي ، في حل من كل ارتباط والتزام واقعيين وأباحوا لانفسهم الاندفاع وراء شطحاتهم ومغامراتهم وعلفانهم الايديولوجية المنفلتة من كل عقاب غير عقاب الخيال الذي لا عاقل له . ولم يحجم هؤلاء المثقفون في لحظة من اللحظات عن الاستشهاد باطروحة لينين القائلة بانه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، ولكنهم لم يحجموا ايضا - وهم المعادون للينينية في تكوينهم وتطلعاتهم - عن تشويه تلك الاطروحة تشويها فظيما ، فاصلين النظرية عن الحركة ومتصورين ان النظرية هي لعبة خيالية خالصة ، بنت صافية من نبات الافكار ، لا تستنير بالتجربة لتشيرها ، بل تنزل نفسها منزلة البديل عنها لتكون شاهدا على عقيرة الخيلة التي أبدعتها ومقياسا لعملة المثقف الفكرية .

وليس من قبيل الصدفة ان يعلن احد اولئك المثقفين ان مسؤولية المفكر « اكبر من مسؤولية السياسي » وان الثورة العربية قد انتهت من طور السياسي لتدخل في « طور الانبياء » (1) : فالدور الذي يرسمه هؤلاء المثقفون لانفسهم هو بالفعل دور انبياء ، دور من يشر بعالم جديد و « بيني المصير الروحي » للامة . وحتى يعطي هؤلاء الانبياء

كشفت هزيمة الخامس من حزيران عن الحاجة الماسة الملحة الى تجذير الثورة العربية كرد أوحد على كل العوامل التي كانت وراء الهزيمة . والدعوة الى « ثورة ثقافية » هي جزء لا يتجزأ من عملية التجذير تلك . والثورة الثقافية تعني ، فيما تعني ، ثورة على المثقفين انفسهم ، أو على الاقل على نهط محدد من المثقفين كان له دور محدد ايضا في وقوع الهزيمة ، والمثقفون الذين نعنيهم ههنا هم اولئك الذين تصوروا انه ليس للثقافة من وظيفة غير ترويج الاساطير . ولا غرو ان ارتفعت اصوات هؤلاء المثقفين عقب الهزيمة مباشرة لتنتقد بعنف ولتطالب وتوزع المسؤوليات وتروج الاساطير جديدة : ذلك ان جلودهم تحكهم كما يقال وشعورهم المهق بالذنب لا بد ان يجد له متنفسا . واذا كان المطلب الاساسي لهؤلاء المثقفين اليوم تجذير الثورة العربية ، فاننا لانجد مناصا من تذكيرهم بان هذا التجذير يجب ان يشملهم هم قبل غيرهم . وما داموا قد امتنعوا عن نقد انفسهم ذاتيا ووزعوا المسؤوليات على الآخرين بسخاء كبير ، وما دامت عملية التجذير تستلزم اول ما تستلزم عملية نقد شاملة ، فليسمحوا لنا اذن بان نوب عنهم في فعل ما لا بد من فعله وما كان يجب ان يفعلوه .

ان هؤلاء المثقفين مسؤولون بعورهم عن الهزيمة لانهم خانوا رسالة الثقافة وامتنعوا صناعة الاساطير وترويجها . ولا يتسع المجال هنسا لتعداد جميع الاساطير التي اخلقوها ولغربلتها وتصفية حسابها . ولكننا نستطيع ، في اطار مقال في مجلة ، ان نركز اهتمامنا على كبرى تلك الاساطير واخطرها وأوهاها : اسطورة الايديولوجيا العربية الخاصة الخصوصية .

ان وضع الايديولوجيات كان على الدوام من اختصاص المثقفين . وهذا من حقهم عندما تكون هناك حاجة حقيقية تاريخية الى ايديولوجيات جديدة . بيد ان المثقفين هم ايضا مهددون بالتشويه المهني . ومن أبرز مظاهر هذا التشويه الرغبة في عرض العضلات الثقافية حتى بعد ان يكون اوان الاستعراضات قد فات . واذا ما فهمنا ان المثقف بسمائه النفسية البورجوازية الصغيرة يتصور دوما تقريبا بان في اعماقه عملاقا ماردا يريد ان يتحرر ويبرز ويخرج من قوقعة ، ادركنا لماذا يحلو للكثير من المثقفين ان يتخيلوا انهم يعيشون - وشعوبهم - في فراغ ايديولوجي خائق وان القدر قد وقع اختياره عليهم ليخرجوا شعوبهم من السديمية الايديولوجية وليقدموا اليها على طبق من ذهب تلك الايديولوجيا الخاصة الخصوصية التي لم يسبقهم اليها سابق والتي لا يشوبها درن من اقتباس او استيراد .

ولا يستطيع احد ان ينكر ان الظروف الموضوعية للثورة العربية

(1) : الدكتور نديم البيطار - « الايديولوجية الانقلابية » -

المؤسسة الاهلية - ص ٢١ .

« يؤلفون في الواقع عقبة الحرية » . ومن هنا كيان الشعور الاولي للثوري المزعوم هو شعور نخبوي، شعور بالتمرد « (نقد الوحشة) » . ولكن مهما غالى الثوري المزعوم في التمرد ، في عداء الناس ، في التعالي على الآخرين ، في « الضدية » ، فان حاجته الى الناس ، الى الجماهير تظل كحاجة النبي الى اتباع . فمن دون سديمية الجماهير لا يمكن ان يبرز الوجه المتمرد للثوري . يقول مطاع صفدي: « ان الثوري يتطلب حضور الجماعة، لا بشكلها المتخصص وصيفها المتنوعة، بل كمعق سديمي لتجربته النضالية .. ان حضور الجماعة يمكن الثوري من اكتشاف مطرد فيها لمجالات نضاليته المتفجرة » (٦) .

ومن اللحظة التي يختار فيها الثوري المزعوم اناه المتمردة ضد كل سديمية الجماهير ، فانه يجد نفسه مضطرا الى الاعتراف بصراحة كلية بانه نائر بلا قضية ، « نائر لا من شيء ، ولا ضد اي شيء » ، نائر فحسب ، نائر لانه نائر . « وانما من عبثية قضيتها هذه يستمد الثوري بطولته (او نبوته) : « الابطال وحدهم هم الذين يقدرون مشقة تحمل مسؤولية الانتصار .. اذ انه يدعوهم ، هو ذاته ، الى انتصار اعظم ، وهذه الدعوة موجهة خاصة لتحقيق الانتصار المطلق الذي لن يتحقق مطلقا » . ولا غرو ان اخذ الثوري وجها سيزيفيا ، فهو « مرهق بدعوة كبرى هي اعتقاد بافجع عبثية للوجود » ، و« مدفوع الى الايقون بما نخلق ثورته . واذا كان له ثمة يقين ما فهو ينصب على التثبوت المستمرة كحركة ... فيؤمن بحركتها ويتجاوز ما تخلق هذه الحركة ... يؤمن بقدرتها على التحقيق ويرفض ما تحققه » . وهذه الثورة السيزيفية الدائمة التي لا تبحث عن الجدوى بقدر ما تهوى الحركة في حد ذاتها هي التي تدفع مطاع صفدي الى رفض ما يسميه بالثورية الاجتماعية . فالثوري الاجتماعي (الماركسي على سبيل المثال) هو في نظر مطاع صفدي « ثوري مرحلي » يتصدى لاهداف محددة ويحدد عمله بظروف معينة . اما الثوري الاشكالي فانه ثوري مبدئي لا يتأثر بالظروف ولا يرى من الثورة غير مبدأها لا قضيتها وهو يابى ان يعد ثورته بأي قضية محددة . والثوري الاجتماعي، بحكم من تطلعه الى الجدوى والى الفعالية ، « مقيد بنظرة علمية » . اما الثوري الاشكالي فانه « يستند الى عقيدة شاملة » تأبى تقييم نفسها بمهام ظرفية ، مهام اقتصادية او سياسية او اجتماعية دنوية صغيرة (٧) .

وما يتجاهله مطاع صفدي ههنا ان سيزيف قد يكون بطلا ، ولكنه حتما ليس بثوري . ولكن هل مطاع صفدي يجهل ذلك حقا ؟ الا يصارحنا هو نفسه بان الثوري الاشكالي « لا يرفض قيمة باسم أي قيمة أخرى ، وانما هو يهدم سلم القيم باسم لا شيء .. انه ليس انسانا ميمرا ، ليس انسانا يدعو لعياة مؤجلة باسم المستقبل، انه لا يبني للمستقبل ، لانه لا يؤمن قط بانه يعمل من اجل الآخرين » (٨) .

وعلى فرض ان الثوري الاشكالي ، بالرغم من كل هلوساته ، ثوري بمعنى من المعاني ، ولكن ما حاجتنا اليه ، ما حاجة القضية اليه ، ما حاجة الجماهير اليه ما دام « يتأبط الجحيم ولا يعد نفسه او الآخرين بأية جنة » !! (٩)

قد يلاحظ القارئ باننا شططنا وكدنا نخرج عن موضوعنا . ولكن عذرا ، الى حد ما ، معنا . فعالم الكثيرين من متقينا هو عالم هلوسة . واذا قبلنا بان ندخله ولو مرة واحدة ، فاننا لا نملك ضمانا للخروج

(٦) مطاع صفدي: « الثوري والثوري العربي » - دار الطليعة - الجبل الموضوعة بين أهلة مزدوجة مأخوذة على التوالي من الصفحات: ٦٩ - ٧٤ - ٧٦ - ٨٣ .

(٧) « الثوري والثوري العربي » - ص ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٥٩ .

(٨) المصدر نفسه - ص ١٢٣ .

(٩) المصدر نفسه - ص ٤٨٢ .

لأنفسهم عظمة النبوة وهالة النبوة ، تراهم يعلنون بلا حرج - وبلا مسؤولية ايضا - انهم هم البدء الذي لابد قبله ، وان العالم قبلهم كان خرابا وفسادا ، وان الانطلاق من البداية ، من الصفر ، وكان شيئا لم يكن من قبل ، هو معيار الطهارة الثورية والابداع الايديولوجي ، وان العملقات الايديولوجية التي يقترحونها هي ضرورة تاريخية يستدعيها الفراغ الايديولوجي كما يستدعي الفراغ المكاني الفاز . وبكلمة واحدة : انهم ، في محاولتهم الخروج من السديمية التجريبية للثورة العربية ، يلفون بكل بساطة الحركة الثورية الواقعية حتى يصبح في وسعهم ان يقولوا انهم قد ابدعوا اخيرا النظرية او الايديولوجيا الثورية التي طسال انتظارها ، ابدعوا ابداعا مطلقا ، من عندياتهم ، من بلايف مادتهم السنجابية دونما اعتماد على احد ودونما اقتباس عن احد ، من فبس فرائجهم ، من تهويمات العماق الكامن في أعماقهم ، من معانئهم الذاتية التي تلخص معاناة الامة بأسرها .

يقول الدكتور نديم البيطار : « هذا النوع من الانقلاب (من النبوة) قليل الحدوث ، لانه يفرض قيام وضعيه انقلابية تتميز بفراغ عقائدي هام ، تمحي فيها الرموز والقيم والقواعد العقائدية القديمة ككل ، فيصبح الفرد وجها لوجه امام الحياة والتاريخ دون أي مفهوم انساني يضبط علاقته بهما » (٢) .

ويقول الدكتور عصمت سيف الدولة : « لهذا كان على كسل عربي يريد ان يؤدي دورا فكريا في هذا الميدان (ميدان ابداع الايديولوجيا) ان يبدأ من اصعب النقاط : الصفر » (٣) . وهذا الحرص على بكورية النبوة وعلى عذرية الابداع يتجلى ايضا لدى الاستاذ مطاع صفدي الذي يعلن علسى لسان مارتان هيدجر ان « فيلسوف العصر ، عبر كل التراث من افكار الانسانية ، ما زال يحس ان الانسان لم يفكر بعد . او ليس ذلك لان حاجة الناسيس ، حاجة البدء من الصفر ، هي المسألة التي لا جواب عليها بعد ، مهما حاولنا ان نخصب غابات من الاجوبة » (٤) .

والانبياء ، كما هو معلوم ، صفوة من البشر . ومثقفونا من اللحظة التي يعلنون فيها انفسهم انبياء الرؤيا الايديولوجية الجديدة يجدون انفسهم مرغمين ، هم صفوة البشر ، على التوجه بالخطاب الى صفوة البشر ايضا . اما الجماهير ، اما السواد الاعظم من عباد الله ، فليس لهم من نور الا ان يكونوا اذانا صاغية ، قطعانا وديعة ، دمسى تسمع ولا تناقش ، تأخذ ولا تطعي ، تتلقى ولا تمنح . هذه العلاقة النخبوية بين النبي وبين الاتباع يحدها الدكتور نديم البيطار بصراحة مطلقة: « ان جمهرة الناس واكثرينهم في كل مجتمع من المجتمعات لهي كائنات جامدة كالدمى وغير خلاقية ، تكفي باتباع العادات الجارية والتقاليد السائدة . فهي ذات نفسية تقليدية تجاري ما تجده وما يتوفر لهم من نظم . اما الخلق والابداع فهما دائما من عمل فئات واقلية ضئيلة تتجاهل ازمات التاريخ وتغرد المجتمعات في احرز ازماتها » (٥) .

وبالرغم من ان مطاع صفدي لا يزدرى الجماهير يمثل هذه الصراحة ، وبالرغم من انه يستبدل مصطلح النبي بمصطلح الثوري ، فان ثورته يتحدد قبل كل شيء بفرديته ، بانفصاله عن الجماهير ، بانسلاخه عن سديمية الجماهير ، عن الناس ، عن ال « هم » . انه يقول : « عربي العصر ثوري اشكالي . انه ينطلق في حركته الممزقة من اناه الفردية اولا . واول ما يفعل انه يعلن عن ذاته بهذه الصرخة : « انا ثوري !! » . وبصيف : « ان بروز الفرد من سديم الكتلنة هو غاية الثورية » . والسديمية حالة تحدد « وجود السواد الاعظم من الناس » ، الناس الذين ليس لديهم ما يقلقهم غير « حاجاتهم الولىة » والذين

(٢) المصدر نفسه - ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) الدكتور عصمت سيف الدولة : « اسس الاشتراكية العربية »

- الدار القومية - ص ٩ .

(٤) مطاع صفدي : « الثورة في التجربة » - دار الطليعة - ص ٦ .

(٥) « الايديولوجية الانقلابية » - ص ٢٦ .

منه في اللحظة التي نريد ولا من المخرج الذي كنا نظن انه هوالمخرج .
اما وقد خرجنا ، فان من حق القارئ ان يعيدنا الى سلاسلنا الاولى:
ما مصير الايديولوجيات الثورية التي جشم مثقفون انفسهم عناء
تسويد آلاف الصفحات ليقولوا انهم ابدعوا اخيرا النظرية الثورية
التي طال انتظار الحركة الثورية العربية لها ؟

الواقع أننا لا نستطيع أن نتحدث عن مصير هذه الايديولوجيات
لانها بكل بساطة لم توجد بعد . انها ما تزال « في الورشة »
في خلايا المادة السنجابية العريضة على مثقفينا .

الاستاذ مطاع صفدي حرر ما يزيد على الف صفحة (مجموع
عدد صفحات كتابية « الثوري والثوري العربي » و« الثورة فسي
التجربة ») ليقول لنا في نهاية المطاف أن « نظرية الثورة » ما تزال
« قيد الطبع » . وبالرغم من انه قد مضى على هذا الاعلان حوالى
سبع سنوات ، فاننا ما زلنا بانتظار خروج « نظرية الثورة » من
الطبعة .

اما الدكتور عصمت سيف الدولة فقد سؤد أكثر من اربعة
صفحة ليعرض « أسس الاشتراكية العربية » ، فاذا بالقسم الاعظم
من كتابه مكرس لنقد الماركسية أو لما يتوهم انه نقد الماركسية .
اما الصفحات القلائل التي خصصها للحديث عن « الاشتراكية
العربية » ، فانها من هذا النمط من الانشاء الذي اعتدناه في مرحلة
طفولة الفكر السياسي العربي :

« بهذا يصبح النضال والتخطيط من اجل الوحدة والحرية نضالا
وتخطيطا اشتراكيا ، ويصبح للاشتركية في بلادنا مضمون متميز لنقول:
انها اشتراكية عربية . فالاشتركية العربية لا تعني الغاء الملكية
الخاصة لادوات الانتاج (كذا !) كما يقول الماركسيون ، ولا تعني
التوزيع العادل للدخل وفرص العمل كما يقول الغابيون ، ولا تعني
رفع مستوى المعيشة كما يقول الاشتراكيون في بلاد الرخاء ، بل تعني
ما يشمل هذا ويتجاوزه اضافة من ظروفنا الى مستقبلنا . انها تعني
الوحدة والحرية والرخاء معا . وبهذا (باي شيء ؟) تتميز الاشتراكية
العربية عن المفاهيم الاشتراكية الاخرى ، ويتميز بها الاشتراكيون العرب
عن غيرهم من الاشتراكيين ، ماركسيين كانوا أو غير ماركسيين . فليس
اشتراكيا عربيا من يدعو ويناضل من اجل الغاء الملكية الخاصة لادوات
الانتاج ويقبل التجزئة او الدكتاتورية . انه شيوعي . (من قال ان
الماركسي يريد بالاضافة الى التاميم التجزئة او الدكتاتورية ؟) .

وليس اشتراكيا عربيا من يدعو ويناضل في سبيل التوزيع
العادل للدخل وفرص العمل ولو في ظل الوحدة ويقبل الاستبداد .
انه فاشستي .

(وهل يناضل الفاشستي في سبيل التوزيع العادل للدخل ؟) .
وليس اشتراكيا عربيا من يدعو ويناضل من اجل رفع مستوى المعيشة
في ظل الاحتلال . انه عميل استعماري . (وهل من الممكن اصلا رفع
مستوى المعيشة في ظل الاحتلال ؟) . انما الاشتراكي العربي من يدعو
ويناضل في سبيل الحرية والوحدة والاشتركية معا ياللاكتشاف
العبري (١٠) .

وتبقى بعد ذلك محاولة الدكتور نديم البيطار في « الايديولوجية
الانقلابية » ، وهي من أطول المحاولات (١٠٠ صفحة) ومن اكثرها
جدية . وهي الجديرة وحدها بان نتوقف عندها مليا .

ان نقطة انطلاق الدكتور نديم البيطار الاساسية هي ان الفراغ
الايديولوجي مظهر رئيسي في أزمة الثورة العربية . وبالرغم من عدم
مطابقة هذا التعبير : « الفراغ الايديولوجي » ، لان التجريبية هي
ايضا نوع من الايديولوجيا ، فاننا نستطيع ان نعتبر رغبة الدكتور
البيطار في سد هذا الفراغ رغبة مشروعة . والمسألة كلها هي أن
نرى كيف حاول أن يسده .

هناك اولا مسألة المنهج . فالدكتور البيطار تلميذ مجتهد لمنهج

(١٠) : « اسس الاشتراكية العربية » - ص ٢٧٩ .

علم الاجتماع الاميركي . فبالاستناد الى تحليل عدد وفير من
الايديولوجيات الثورية التي ظهرت في العالم واستقرارها واقتمائها ،
يحاول الدكتور البيطار ان يستنتج الشروط الشكلية او المورفولوجية التي
لا بد ان تتوفر لكل ايديولوجيا حتى تستحق اسم الايديولوجيا حقا .

والمسألة كلها تنحصر في رأيه في اننا اذا ما توصلنا الى
استنباط مورفولوجيا عامة للايديولوجيات الثورية فمن السهولة بمكان
بعدئذ ان نملا هذا الشكل الايديولوجي العام بمضمون عربي خاص .

الدكتور البيطار لا يزعم اذن انه يضع ايديولوجيا الثورة العربية،
انما كل ما يريد ان يوضحه هو كيف يمكن لنا بدورنا كعرب ان
نشئ الايديولوجيا الخاصة بنا . والمسألة صعبة وسهلة في آن
واحد . فاذا ما احطنا بفن انشاء الايديولوجيات (وهذه هي المرحلة
الصعبة) ، كان من السهل علينا ان نحوله الى فن تطبيقي ، أي
نملا الوعاء بماء .

الوعاء اولا ثم الماء . وهذامعناه : الشكل اولا ثم المضمون . هذه
هي الملاحظة المنهجية الاولى . وهي ملاحظة خطيرة ، والنتائج التي انقاد
اليها الدكتور البيطار بفعلها اخطر ايضا . اذ ما دام معيار الايديولوجية
الثورية صفات مورفولوجية محددة (كان تكون على سبيل المثال
شمولية ، مطلقة ، طقسية ، الخ) ، فلا عجب ان ينتهي الدكتور البيطار
الى نتيجة عبقرية لا تكفي بالقول بان النازية والشيوعية على حد
سواء هما من الايديولوجيات الثورية فحسب ، بل تصنيف بان النازية
« اكثر ثورية انقلابية من الماركسية » (١١) ، من بعض الجوانب على الاقل .

ومن اللحظة التي اخطار فيها الدكتور البيطار تعريف
الايديولوجيات الثورية بدءا من الوعاء ، من الشكل ، من الصفات
المورفولوجية ، فلا عجب ان ادخل في مقولة الايديولوجيا الثورية
ايديولوجيات مضادة للثورة جذريا ومفرقة في الرجعية من حيث
المضمون الى درجة الجنون كالايديولوجيا النازية على سبيل المثال .
وهكذا يتوصل الدكتور البيطار الى ان يكتب مدافعا عن الثورية
الشكلية للايديولوجيا النازية : « يتكلم الشيوعيون عن النازية كحركة
رجعية ، ولكن هذه الكلمة ، ان نحن ارجعناها الى مصدرها في القرن
التاسع عشر (اي ان نحن اخذنا مورفولوجيتها وحدها بعين الاعتبار
تعني رجوعا الى الكنيسة والموقف الكاثوليكي والانتصار للشعور الملكي
ضد الشعور الجمهوري وتأكيد الموقف التقليدي وسلطة الطبقات
الماضية . لهذا كان من اللغو حقا تسمية الحركة النازية او الفاشية
بالحركة الرجعية لانهما نقصتا ليس فقط تلك المبادئ والشعار
بل التراث الغربي بطابعه الرئيسي الحديث » (١٢) .

والملاحظة المنهجية الثانية هي ان الدكتور البيطار اجاز لنفسه،
رغم انه كل المنطق العلمي ، محاكمة الايديولوجيات واستقرارها استنادا
الى مصادر ثانية لا الى المصادر الاولية ، اي استنادا الى ما قيل
وكتب حول تلك الايديولوجيات دون الرجوع البتة الى ما قالته هذه
الايديولوجيات عن نفسها . وبديهي ان المرء لا يحاكم بناء على اقواله
الشخصية وحدها ، ولكنه لا يحاكم ايضا بناء على اقوال الاخرين
وحدها . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان غالبية مصادر الدكتور البيطار
هي مصادر اميركية ، ادركنا اي صورة مشوهة ، أسطورية ، تخريبية،
يقدمها الدكتور البيطار لقرائه عن الماركسية . فهو يقول مثلا ان
ماركس لم يأت بجديد وان جميع افكاره « موجودة في روسو وبرودون »

(١١) : « الايديولوجية الانقلابية » - ص ٧٦ .

(١٢) : المصدر نفسه - ص ٧٧ . وبالمناسبة نشير الى ان مروجي
الاساطير من المثقفين يحلو لهم دائما ان يضعوا الماركسية والنازية
على مستوى واحد . وهكذا يقول مطاع صفدي المعادي جذريا للماركسية
بان الشيوعية الروسية فلسفة استعمارية « لا تختلف عن النازية الالمانية
والفاشستية الايطالية » وان « الحكام السوفييت وقفوا في صف واحد
مع الاستعمار القديم » . (الثوري والثوري العربي - ص ١٤١-١٤٤) .

(١٣) . او هو ينسب الى لينين هذا التخريف الطوبائي : « اعلن لينين، مباشرة بعد استلام السلطة ، ان المجتمع الشيوعي اللاطفي اصبح في متناول اليد ، ولن يتأخر اكثر من ستة اشهر كي يتحقق ويتبلور» (١٤) . او هو يخترع بالاستناد الى مصادره الثانوية اسطورة تنسب الى الماركسية نزعة عداء الجماهير وازدراءها وتقول ان ماركس وانجلز كانوا « في حذر وخوف من الجماهير دائمين » وان لينين كان يعبر عن « رغبة بالجماهير وشك دائم » (١٥) او هو يفترض بان الماركسية، بالرغم من تسميتها بالاشتراكية العلمية ، ليست في حقيقة امرها سوى دين جديد ويؤكد ان « الماركسية في شكلها الفكري لم تكن خطوة من الاشتراكية المثالية الى الاشتراكية العلمية ، بل كانت خطوة من الاشتراكية الى دين اشتراكي » (١٦) ويضيف في مكان آخر بان « فلسفة هيغل وماركس تحولت الى دين على يد لينين » (١٧) (ضاربا عرض الحائط بالتناقض الذي اوقع فيه نفسه عندما قال في البداية ان ظهور الماركسية كان يعني تحولا من الاشتراكية الى دين اشتراكي ثم اضاف بان الماركسية ، التي هي بالاساس دين، قد تحولت الى دين على يد لينين !) .

وثالث الملاحظات المنهجية ان الدكتور البيطار قد اوقع نفسه في كل الاخطاء التي يقع فيها اتباع المذهب السلوكي من علماء الاجتماع الاميركيين فهؤلاء العلماء الذين يدعون الموضوعية والعلمية (يجب ان نقول : العلموية) يزعمون ان ابحاثهم ومقولاتهم ومفاهيمهم استقرائية وتجريبية خالصة ، وضعية ، فيزيائية ، ليس فيها اثر من ميثافيزياء احكام القيمة . فهم على سبيل المثال ينشئون مفهوم «الديموقراطية» كما اوضح ماركوز من خلال تحليل واستقراء الاسس الراهنة للمجتمع الاميركي ، ثم يطبقون ذلك المفهوم « المستقرا » على المجتمع الاميركي نفسه لينتهيوا الى هذه النتيجة العبقرية الا وهي ان المجتمع الاميركي هو بالفعل مجتمع ديموقراطي ! وهذا بالضبط ما يفعله الدكتور البيطار بمقولة الايديولوجيا الثورية . فهو يريد ان يحدد مورفولوجيا الايديولوجيا الثورية عن طرق الاستقراء التجريبي لعدد من الايديولوجيات الثورية . وهو بالطبع يفترض ان استقراءه هذا يخاو من اي حكم قيمة . ولكن ما يتجاهله هو ان نقطة انطلاقه بالذات هي حكم قيمة . اذ كيف يمكن اعتبار النازية على سبيل المثال ايديولوجيا ثورية اذا لم يكن هذا الاعتبار قائما على حكم قيمة ؟ ومن اللحظة التي ينتبه فيها القارئ لهذه اللعبة ، اي من اللحظة التي يعارض فيها حكم المؤلف التقييمي الاول بصدد ثورية الايديولوجيا النازية بحكم اتقسيمي مضاد بصدد رجعية النازية كأيديولوجيا ، تنهار كل البناية التي حاول الدكتور البيطار تشييدها وتكف مورفولوجيا الايديولوجيات الثورية عن ان تكون فضلا مورفولوجيا الايديولوجيات الثورية . واذا كان الدكتور البيطار يريدنا ان نتصور بعد تحليله الطويل ان كل ايدولوجيا تتمتع بالصفات المورفولوجية ، نفسها التي تتمتع بها النازية هي ايدولوجيا ثورية ، فان القارئ يستطيع ان يعكس المعادلة ويقول ان مثل هذه الايديولوجيا هي بالضرورة رجعية لان مورفولوجيتها هي مورفولوجيا الايديولوجيا النازية .

ورابع الملاحظات المنهجية و آخرها ان الدكتور البيطار يخلط خلطا شديدا بين مفهومين متناظرين للايديولوجيا : الايديولوجيا كمرآة فكرية مشوهة ، تيريرية ، تستخدم كأداة لتمويه المقاصد والاهداف والمصالح الحقيقية ، والايديولوجيا كجملة افكار منبثقة عن مذهب معين في تحليل حركة الواقع وتظهيرها . فالنازية على سبيل المثال هي ايدولوجيا من النمط الاول ، اي جملة عقائد مستخدمة

(١٣) : « الايديولوجية الانقلابية » - ص ٢٣٥ .

(١٤) : المصدر نفسه - ص ٢٩٧ .

(١٥) : المصدر نفسه - ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(١٦) : المصدر نفسه - ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

(١٧) : المصدر نفسه - ص ٦٦٥ .

كستار لتمويه تطلع الامبريالية الالمانية الى السيطرة على العالم واستتماره وتحويله الى « مجال حيوي » . وبالمقابل فان الماركسية تفترض نفسها « ايدولوجيا » من النمط الثاني ، اي جملة افكار تعكس حركة الواقع بالقدر الممكن من الامانة بلا تشويه ولا اساطير . وقد بلغ نفور الماركسية من النمط الاول من الايديولوجية حدا جعلها ترفض اطلاق تسمية الايديولوجيا على مذهبها واعتبرت نفسها نقدا لكل الايديولوجيات ونهاية لها . وبالفعل يندر ان نجد في كتابات ائمة الماركسية تعبير « الايديولوجيا الماركسية » ، وهم لا يستخدمون مصطلح الايديولوجيا الا نقدا وترذيلا (مثال : كتاب ماركس وانجلز عن « الايديولوجيا الالمانية ») .

هل الماركسية ايدولوجيا ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتوقف على المقصود من مصطلح الايديولوجيا . وعلى كل فان النظرية الماركسية تتناقض على طول الخط مع مفهوم الايديولوجيا بالمعنى الذي يستخدمه الدكتور البيطار . واذا كنا نؤثر استخدام تعبير « النظرية الماركسية » على تعبير « الايديولوجيا الماركسية » منعا لكل التباس بين المفهومين الانفي الذكر للايديولوجيا ، فاننا لا ننكر انه قد وجد في التاريخ نوع من « الايديولوجيا الماركسية » بالمعنى المرذول للكلمة ماركسيا . وما « الايديولوجيا الماركسية » الا النظرية الماركسية في مرحلة انحطاطها الستاليني (وغير الستاليني ايضا) . وبعبارة اخرى ، فلنقل : ان الماركسية لا تبدأ بالتحول الى ايدولوجيا الا من اللحظة التي تشرع فيها بالانحطاط ، اي بالتحول الى مرآة تيريرية مشوهة ، غرضها تمويه حركة الواقع الحقيقية وتبريرها . والدكتور البيطار لا يميز مع الاسف بين النظرية الماركسية والايديولوجيا الماركسية ، اي لا يميز بين الماركسية وبين انحطاطها وكاريكاتورها . وما يفترض الدكتور البيطار انه الصفات المورفولوجية للايديولوجيا الماركسية هو في حقيقة الامر الصفات المورفولوجية لكاريكاتور الماركسية .

ولا يدرك بخلدنا ان الدكتور البيطار يسيء النية ، بل على العكس: فهو يريد ان تكون الايديولوجيا العربية صورة طبق الاصل مورفولوجيا عن الايديولوجيا الماركسية . ولكننا نحن نستطيع ان نشكر الدكتور البيطار على جهوده بشرط ان نعكس الاية ، اي بشرط ان نعمل على ان تكون نظرية الثورة العربية بعيدة كل البعد مورفولوجيا عن الصفات الراهنة للماركسية ، كأيديولوجيا ، ككاريكاتور ، وقريبة كل القرب من الماركسية كنظرية ، كمنهج ، كعلم اجتماعي (١٨) . وسوف نضرب بعض الامثلة .

ان الدكتور البيطار من خلال استقرائه للايديولوجيات الثورية الزعومة ومن ضمنها النازية وكاريكاتور الماركسية يدعو الى ان تقوم نظرية الثورة العربية لا على العقل ولا على العلم ، وانما على نوع من الولاء الفرزي او الصوفي او الديني . انه يقول على سبيل المثال (وليعذرنا القارئ اذا اكرنا من الاستشهادات :)

« ان الايديولوجية الانقلابية تحمل في الحياة التي تولدها برهانها فلا تخضع لتحليلات علمية او حجج عقلية . فهي تتمتع بالولاء والاخلاص اللذين تحتاج اليهما بشهادة نفسية وجدانية » (١٩) .

« يقبل الانسان على الفلسفة الاجتماعية عن طريق فكري ، بسبب حاجات فكرية ، ويقبلها او يرفضها عادة تبعا لمقاييس فكرية ، ولكنه يقبل على الايديولوجيا بسبب حاجات نفسية اخلاقية ، بسبب مشاعر وعواطف تجد منفذا فيها » (٢٠) .

« ان الايديولوجية تتجه الى اليول والمشاعر والفرائز . . ومن

(١٨) : وبديبي بعد هذا ان نظرية الثورة العربية لا يمكن ان

تكون شيئا آخر غير الماركسية ، لان الماركسية ما تزال النظرية العلمية الواحدة للثورة ، ولكن - ولكن هذه اساسية - الماركسية بعد تعريبها اي تطويرها من نظرية للثورة بشكل عام الى نظرية للثورة العربية .

(١٩) : الايديولوجية الانقلابية - ص ٩٦ .

(٢٠) : المصدر نفسه - ص ٩٦ .

اهم الاستنتاجات الاولى التي نأخذها من التجارب الايديولوجية الثورية الكبرى في التاريخ هو ان الامر المهم ليس ما يؤمن به الناس ولكن الكيفية التي يؤمنون بها» (٢١)

« قوة الايديولوجية الانقلابية تنشأ من العلاقة العاطفية بل للصوفية التي تولدها في انفس المؤمنين بها » (٢٢) .
« ان علمية او لا علمية ، واقعية او اسطورية المذاهب والعقائد لا أهمية لها أبدا ولا تؤدي الى اي فرق في قوتها ان كانت طرق التثقيف طرقا فعالة » (٢٣) .

ولا اعتقد ان ثمة حاجة بعد هذا للقول بان نظرية الثورة العربية يجب ان تكون متناقضة على طول الخط مع ما يدعو الدكتور البيطار الى ان تكونه ، هذا اذا كنا نريد لهذه النظرية ان تكون دليلا للعمل ، منارة للتجربة ، وليس اسطورة او مرآة ايديولوجية مشوهة .
ومن خلال استقراء الدكتور البيطار للصفات اوردولوجية للايديولوجيات الثورية المزعومة ، اي للنازية وكاريكاتور الماركسيية بالدرجة الاولى ، يتوصل الى الاستنتاج بان « ايديولوجيا » الثورة العربية يجب ان تكون مطلقة ، متمسكة ، متعالية على الحوار العلمي ، مغلقة دون النقد ، ايمانها بذاتها ايمان صوفي ، مهووس ، لا نهائي ولا نقدي . وهذه ايضا بعض امثلة .

« ان كل ايديولوجية انقلابية يجب ان تكون فوق اي تحليل ونقد ان هي ارادت ان تكون فعالة » (٢٤) .

« تعبر قوة الايمان عن ذاتها ، كما لاحظ برجسون ، ليس في تحريك الجبال بل في العجز عن رؤية الجبال . فالثقة التامة بعصمة المذهب او الايديولوجية الانقلابية هي التي تجعل سلوك الانقلابي يستثنى عفويا المفاجآت والوقائع السلبية من العالم الذي يحيط به ... عبر لوثر عن ذلك خير تعبير عندما قال : « يجب ان تنسك بالكلمة الموحى بها في التوراة ، حتى لو رايت جميع ملائكة السماء ، تأتي وتقول لي شيئا آخر مخالفا ، فلن أشك ، ليس فقط بحرف من كلمات الانجيل ، بل انني أغلق عيني واذني ، لان ما تقوله الملائكة لا يستحق النظر او السمع » .

لا يحد قياس فعالية الحركة الانقلابية في عمق فلسفتها او واقعية حقائقها ... بل في قدرتها على كسب ولاء اتباع يابون ان يروا أو يسموا » (٢٥) .

« لا تستطيع الايديولوجية الانقلابية ان تتحرى الحقيقة الموضوعية حتى في العلم ، لان الحقيقة العلمية ذاتها تخضع لمنطقها ونظامها السياسي » (٢٦) .

« من ناحية سيكولوجية ايديولوجية ليس هناك فرق بين نفسية النازي والمسيحي ، بين الايمان الذي يسهر عليه الحزب الشيوعي وبين الايمان الذي ترعاه الكنيسة الكاثوليكية » (٢٧) .

« عندما تظهر الايديولوجية بمظهر الاعتدال والتسامح ، فتنتج للآراء الاخرى ، فان ذلك يعني انها خسرت حيويتها وفعاليتها وبدات تنهار وتموت » (٢٨) .

« تأتي الايديولوجيات الانقلابية الحديثة النقد ، وتؤمن بانها خارج النقد ، وان النقد لا يستطيع ان يتناولها ، وبهذه الخاصة يظهر روحها الديني » (٢٩) .

وبديهي ان الدكتور البيطار لو قال هذا الكلام في معرض النقد

والاستنكار ، ولو احتج على الطابع الانفلاقي للايديولوجيات ومورفولوجيتها الايمانية ، لكان ممكنا ان نفهمه . ولكن الدكتور البيطار لا ينتقد ولا يحتج ، بل يؤيد ، وبطال بان تكون الايديولوجيا العربية صورة اخرى عن ذلك التعصب المهمي . ولا اعتقد ان ثمة حاجة هنا أيضا للقول بان نظرية الثورة العربية يجب ان تكون متناقضة على طول الخط مع ما يدعو الدكتور البيطار الى ان تكونه ، والا فانها ستكون بالفعل « ايديولوجيا » بالمعنى المرذول لهذه الكلمة ماركسييا .

والواقع ان كتاب الدكتور البيطار الضخم كان سيكون جديرا بالثناء لو كان نقدا أو هجاء للانحطاط « الايديولوجي » للماركسية ، اي لتحول نظرية ماركس ولينين الاجتماعية ، التاريخية ، العلمية الى عقيدة ايمانية لها اصنامها وايقوناتها وكنيستها وسدنتها . ولكن انحطاط الماركسية هذا (وهو الانحطاط الذي بلغ ذروته في المرحلة الستالينية) هو الذي يرقع الماركسية في نظر الدكتور البيطار الى مستوى الايديولوجيات الانقلابية الكبرى في التاريخ (الى مستوى النازية على سبيل المثال) .

ويبقى بعد ذلك سؤال اساسي : كيف امكن للدكتور البيطار ان يقع في كل هذه الاخطاء المنهجية ؟ ثم ، هل هي بالفعل مجرد اخطاء منهجية ؟ أم انها تصود في طبيعتها العميقة الى خطأ اولي ، جوهري ، اساسي ، سابق للمنهج ولاخطاء المنهج ؟

ان مجرد طرحنا لهذا السؤال يشير الى اننا قد اخترنا الجواب سلفا . وما خطأ الدكتور البيطار الاولي ، الاساسي ، غير اختياره البدئي ، القلبي ، لدوره كمثقف تجاه الجماهير . ولقد رأينا في مطلع هذا المقال يعلن ان الطور الراهن من الحركة الثورية العربية هو طور الانبياء ، اي طور صناع العقائد والايديولوجيات . وهو كله قناعة بان « نخبة انقلابية من الشباب العربي » هي وحدها المؤهلة لان « تشرف على الحركة العربية وتبني المصير الروحي الجديد » ، وبان « عددا محدودا من الانفس الكبيرة » (٣٠) هم وحدهم الذين يملكون ما فيه الكفاية من الطاقات الخلاقة لقيادة الامة على طريق الانقلاب المنتظر .

ان تصور الدكتور البيطار عن الثقافة هو تصور نخبوي نهوذجي ، تصور يكرس كل « غباء » الجماهير و« سطحيته » و« قزميتها » تجاه عملقات المثقفين وعمقهم الذي لا يسبر له غور وتفوقهم . وانما من هذا التصور لعلاقة المثقف بالجماهير ، ولدور كل من المثقفين والجماهير في التاريخ ، المثقفين الفاعلين والجماهير المنفصلة ، المثقفين بوصفهم ذات التاريخ والجماهير بوصفها موضوعه ، استنتج الدكتور البيطار كل تصوراته عن طبيعة الايديولوجيا ووظيفتها ودورها في التاريخ . ومهما امكن لتصورات الدكتور البيطار عن الايديولوجيا ان تبسو خطرة وضارة ، فان موقفه البدئي من الجماهير لهو اشد خطرا وضرا . ولسوف تقدم للقارئ بعض النماذج التي نستطيع من خلالها ان نفهم لماذا اعتبر الدكتور البيطار النازية ايديولوجيا ثورية ولماذا رأى في الانحطاط الستاليني للماركسية سموا ايديولوجيا :

« تتميز الجماهير بافكار سطحية جدا ... وبعاطفية قوية » (٣١) .
« الجماهير عاجزة عن التفكير المجرد وعاجزة عن الاهتمام بشيء يتجاوز تجاربها اليومية المباشرة . فقوى اللاوعي والشاعر هي التي تحدد سلوكها وليس العقل أو المعرفة . والايديولوجية الانقلابية الناجحة هي التي تتميز بقدرة على استخدام القوى والمشاركت » (٣٢) .
« ان تاريخ الحركات الانقلابية يدل بوضوح تام على ان الجماهير كانت تمثل دائما وبشكل مستمر اكبر قوة شعبية لا واعية في التاريخ » (٣٣) .

(٣٠) : المصدر نفسه - ص ٢٦ - ٢٩ .

(٣١) : المصدر نفسه - ص ٣٧٠ .

(٣٢) : المصدر نفسه - ص ٣٧٢ .

(٣٣) : المصدر نفسه - ص ٣٥٨ .

(٢١) : المصدر نفسه - ص ٩٨ .

(٢٢) : المصدر نفسه - ص ١٠٢ .

(٢٣) : المصدر نفسه - ص ٣٧٣ .

(٢٤) : المصدر نفسه - ص ١٩٥ .

(٢٥) : المصدر نفسه - ص ١٩٩ .

(٢٦) : المصدر نفسه - ص ٥٥١ .

(٢٧) : المصدر نفسه - ص ٥٦٣ .

(٢٨) : المصدر نفسه - ص ٦٦٦ .

(٢٩) : المصدر نفسه - ص ٨٠٤ .

الجدار

واقفا يشربني الليل ويرميني الدوار
نجمه ...
أغنية من دون ومض
آتيامن زمن الجوع ومن صمت البحار
زورقايطلع من صمت الاساطير ويمضي
انني انفض عن روجي الفبار
كي اشمّ النكهة الاولى لارضي .

كذب كل ابتهاالاتي وحبسي
كذب ما ينبت الوهم من الدفلى بقلبي
كذب ما من فرار
كلماتي لا تطيق القفز من هذا الجدار

كذب ما وشوشته الريح
ما كانت تقول :
« انّ ضيفا باركنه الريح
ضمته الى صدر الحقول
سوف يأتي » . آه لم يأت
ولم يأت الذي كانت تقول :
« هو ذا الميت قد عاد فتيا
اشقر الشعر يضيء الليل مسراه
وتخضرّ الكروم
خطوه أرجوحة الفجر

وعيناه نجوم
مسحة الشحاذ القاها
ولم يلبس سوى الوعد الذي يوميء،
ان صار نبيا .

وانا يساقط الرمل على رأسي
وهذا الليل يغفو في عيوني
لم تفارق شفتي كأس الحنين
انني لم امتلك ، بعد ، عصا الساحر
لم المح سنا البرق الذي يلمع في
طور سنين

لم يحل الربّ عقداً لساني
غير اني لم ازل اسبط كفي بالسؤال
انتحي الظلّ . والتمّ على نفسي
واطوي العمر في ذل السؤال
واغني - ثاقبا صمت الليال :
ربما يورق في رأسي حلم
ربما يسقط نجم
ربما ...
ربما ...

ضياء خضير

العراق - قلعة سكر

في شخص زعيم ، على النحو الذي تجسدت فيه النازية في عبادة شخصية هتلر والستالينية في عبادة شخصية ستالين . وليس من قبيل الصدفة ان ينبري الدكتور البيطار للدفاع عن عبادة شخصية الزعيم وتبريرها تاريخيا . فعبادة الشخصية هي الترويج الحتمي لاذراء الجماهير ومبادرة الجماهير . وهو اذ يقول بان مكانة الزعماء قد تفوق أحيانا « مكانة اقدس الانبياء والرسول وتضاهي مكانة الآلهة نفسها في انفس الانواع » (٣٥) ، فانه لا يقول ذلك مستكرا ، بل مصدقا مؤيدا لان كل حركة انقلابية تحتاج في رايه حتى تكون فعالة الى « فوزد (لقب ستالين) ، الى دوتشي ، الى فوهرر ، الى رسول » (٣٦) ولان « الجماهير تعبد الشيطان ان لم تجد الهسا تعبه » (٣٧) .

تري - ولتكن هذه مؤقتا كلمة الختام - الا بمثل تصور المثقفين هذا عن الجماهير ادانسة لا للجماهير وانما للمثقفين انفسهم كمساهمين كبار في شركة النبوة الكاذبة وتروست صناعة الاساطير وتجارها ؟ ولكن ألم نتعلم على مقاعد الدراسة ان الثقافة هي نتاج نضال الانسانية ضد السحر والاساطير والنبوات الكاذبة ؟ واذا كان الامر كذلك ، افليس من حقنا ان نتوقع وان نطالب بلا تاخير بان تأخذ « عملمات » هذا النمط من مثقفينا طريقها الى غربال التاريخ ونحفظه ؟

جورج طرابيشي

حلب

- (٣٥) : المصدر نفسه - ص ٣٦٥ .
(٣٦) : المصدر نفسه - ص ٣٦٢ .
(٣٧) : المصدر نفسه - ص ٣٧٦ .

- « تحتاج الايديولوجيا الانقلابية الى فعالية الجماهير . وفعالية الجماهير ممكنة لانها .. جاهلة ومحدودة الفكر .. والمذاهب تنتشر وتنقل عن طريق الاحياء والمدوى والترديد والتلقين ، لا عن طريق الفكر والعقل . كان سقراط يقول انه قد يكون الحدادون والتجارون والسكافون مهرة في حرفهم ، ولكن اكثرهم ذات نفوس ساكنة ، فهم لا يعرفون ما هو الجمال او الخير او العدالة » (٣٤) .

وبديهي اننا لا ننكر ان للجماهير غريزتها الصادقة وحكمتها المباشرة . ولكن هذا شيء ، وتجريد الجماهير من ملكة التفكير واعتبارها قوة غريزية محضه شيء اخر .

وبمجرد ان نعتبر الجماهير قوة غريزية خالصة ولا واعية ، فاننا نكون قد انسقنا ، شئنا ام ابينا ، الى اعتبار الايديولوجيا عقيدة ايمانية ، دماغوجية ، لا نقدية ولا علمية ولا تاريخية ، مقياس قوتها الولاء الصوفي المتعصب الاهوج ، لا حقيقتها وصحتها .

وليس هذا فحسب ، بل لا مناص ايضا في هذه الحال ، وحتى تكتمل قوة الايديولوجيا كمقيدة ايمانية ، من ان تتشخص هذه الايديولوجيا

(٣٤) : المصدر نفسه - ص ٣٥٩ . وبالنسبة ، واذا كانت الجماهير لا تعرف الجمال ، فهل يستطيع سقراط او الدكتور البيطار ان يقول لنا لماذا يهتم بائع الفول البسيط في بلادنا بتزيين دكانه باوعية زجاجية مليئة بمياه ملونة : زرقاء وحمراء وخضراء ، مع انه ليس لها اي فائدة مباشرة غير منعة العين ؟ ولماذا يهتم بائع اللوز الاخضر بصف جباهه على نحو هندسي رائع ومزدان بالازاهير من شتى الاسوان ؟